

في أفق السياسة العالمية

بين روسيا والولايات المتحدة

ليس في العالم كله بلاد كروسيا والولايات المتحدة بينها أوجه الشبه كما تعددت أوجه الخلاف ، وتوافرت فيها أسباب الانفاق كما توافرت عوامل النفرة والجفاء . وأنت لو أقيمت إلى الكرة الأرضية بنظرة فاحصة لكشفت لك عن وجود مساحتين شاسعتين متقابلتين من اليابسة ، إحداهما في نصف الكرة الشرقى ، والثانية في النصف الغربى ، وفى كل منهما تقوم حكومة مركزية واحدة تجمع بين شتات هذه الأجزاء الواسعة ، وتشرف على نظامها العام ومواصلاتها ودفاعها وعلاقتها مع سائر الأمم . أما في نصف الكرة الشرقى أو العالم القديم فتقوم حكومة اتحاد جمهوريات السوفيت الاشتراكية ، ومساحتها تزيد على ثمانية ملايين من الأميال المربعة ، ويبلغ عدد سكانها ١٨٠ مليون من الأنفس . وأما في نصف الكرة الغربى أو العالم الجديد فتقوم حكومة الولايات المتحدة بأمريكا ، ومساحتها تزيد على ثلاثة ملايين من الأميال المربعة ، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٣٠ مليون من الأنفس ، ولا يفوقهما في العالم كله إلا بلاد الهند والصين ، وذلك من حيث عدد السكان فحسب . وروسيا والولايات المتحدة كلتاهما تحترقها أنهار عظيمة تنساب بين سهول خصبة مترامية الأطراف ، كثيرة الخيرات ، موفورة المحصولات ، وفيها مراعى ممتدة وهضاب وأودية وسلاسل من الجبال يستخرج من ظاهرها وباطنها معادن مختلفة ، وفى مقدمتها زيت البترول ومنه تنتج الولايات المتحدة ٦٤ ٪ من محصول العالم ، وتليها روسيا إذ تنتج منه ١٢ ٪ . ولعظم مساحتهما تعتبر كل منهما قارة قائمة بنفسها فى عزلة عن غيرها ؛ فروسيا فى عزلة برية شبه جليدية تبدأ من البحر البلطى فى غرب أوربا وتنتهى عند ساحل المحيط الهادى الشمالى شرقى روسيا . وأما عزلة الولايات المتحدة فعزلة بحرية ، إذ يكتنفها المحيط الاطلنطى من الناحية الشرقية ، والمحيط الهادى من الناحية الغربية .

وكما تغلبت الولايات المتحدة على وصل أبعاد الفيافي السحيقة بإنشاء السكك الحديدية بين المحيطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، كذلك ربطت روسيا بين غربها وشرقها بإنشاء خط سيبيريا الحديدي في أوائل القرن العشرين. ولكن بينما كان إنشاء السكك الحديدية في الولايات المتحدة مقدمة لتعمير أراضيها وزيادة إنتاجها وإشاعة الرغد والرخاء في ربوعها، كان امتداد السكك الحديدية في روسيا شرقاً عبأً سيبريا نذير شؤم على الأهالي؛ إذ أصبح العمل في إنشاء السكك الحديدية واستغلال المناجم والعمل في المصانع الواقعة قربها تكليفاً شاقاً ينوء به عادة المجرمون والمسخرون من رقيق الأراضي ومئات الألوف من السياسيين والمفكرين الأحرار والاشتراكيين الذين نالهم سخط الحكومة فكان نصيبهم النفي إلى تلك البقاع، يعيشون في صحراء من الجليد لافكك منها وليس فيها أثر من آثار الرحمة الانسانية، فكانوا يموتون ضحية الجوع والمرض والقسوة واليأس.

وليس في كل هذا أمر يدعو إلى العجب والدهشة، إذا عرفنا أن الروس كافة قد ظلوا مستعبدين قروناً طويلة، يتحكم فيهم الاشراف ويسومونهم سوء العذاب، ويعيشون ملتصقين بالأرض كالسائمة أو كالعبيد. وظل هذا شأنهم إلى أن أصدر القيصر إسكندر الثاني سنة ١٨٦١ قانوناً يحرمهم من عبوديتهم. ومنذ ذلك التاريخ أخذت الأجيال الناشئة تنسم نسيم الحرية والكرامة الانسانية، وجمعت مشاعل الثورة ومعاولها التي قوضت أخيراً حكومة القيصرية. ولذلك كان الروس قبل هذا التاريخ في عزلة عن غرب أوروبا، فلم يتأثروا كما تأثرت شعوب غربي أوروبا بحركة النهضة أو بالثورة الفرنسية وما تبعها من أحداث وثورات، ولم تمسهم حركات الإصلاح الدينية التي انبعثت من روما وألمانيا وسويسرا في القرنين السادس عشر والسابع عشر. لذلك بقي الحكم في روسيا طوال هذه القرون حكماً أتوقراطياً بحتاً بالغاً منتهى الشدة والقسوة، وظل الشعب يرسف في أغلال جهله وفقره المدقع إلى أن قامت الثورة البلشفية في سنة ١٩١٧. ولا نستثنى من ذلك الفترة التي اعتلى فيها العرش القيصر إسكندر الأول، الذي كان قوام المعارضة الأوربية بين سنة ١٨١٢ و ١٨١٥، وهي المعارضة التي قضت على نابليون بونابرت. وقد بدا للناس حينذاك أن القيصر يريد أن يبدأ عهداً جديداً من الحرية وحكم القانون، لا في روسيا وحدها بل في إقليم بولندا كذلك

الى اقتسمتها روسيا والنمسا وبروسيا ومحوها قبيل نهاية القرن الثامن عشر من الوجود السياسى ، فإن هذه الفترة لم تظل إلا سنوات قليلة لم يلبث بعدها إسكندر أن انحاز إلى جانب سياسة مترنخ الرجعية ، وسرعان ما صارت روسيا سوط العذاب يلهب به مترنخ ظهور الأحرار أينما وجدوا حتى لو كانوا فى أمريكا من وراء المحيط . فقد قامت فى سنة ١٨٢٢ ثورة فى اسبانيا على ملكها مردينند السابع ، ومنها انتقلت إلى مستعمراتها فى جنوب أمريكا ، فما كان من إسكندر قيصر روسيا إلا أن تقدم يريد إرسال قواته تعبر أوروبا لقمع الثورة لافى أسبانيا فحسب ، بل فى المستعمرات أيضاً إذا اقتضت الحال . وكان من الطبيعى فى ذلك الوقت أن تعترض فرنسا وانجلترا على هذا الدور الدكتاتورى الرجعى الذى أراد القيصر تمثيله على مسرح السياسة الدولية ، فقرر مؤتمر الدول الذى انعقد فى فيرونا أن يعهد إلى فرنسا ، وهى أقرب الدول إليها ، بقمع الثورة . وفى ذلك الحين خشيت انجلترا والولايات المتحدة ، وكانت لهما فى المستعمرات الأسبانية مصالح تجارية حيوية أن يمتد أثر قرار فيرونا إلى أمريكا ، فقام جيمس منرو Monroe رئيس الولايات المتحدة فى ديسمبر سنة ١٨٢٣ فأعلن تصريحه الشهير الذى قامت على مبادئه من بعد سياسة أمريكا الخارجية . وينص ذلك التصريح على أن الأقاليم الأمريكية لم تعد مجالاً للتدخل أوللاستثمار الأوروبى ، وأن أى تدخل من جانب أية دولة أوروبية تعتبره الولايات المتحدة عملاً عادئياً موجهاً ضدها . وأعقب ذلك اعتراف كاننج وزير خارجية انجلترا باستقلال المستعمرات الأسبانية سنة ١٨٢٤ ومنذ ذلك الوقت أصبحت شؤون الجمهوريات الأمريكية من اختصاص الولايات المتحدة دون غيرها من سائر الدول .

وبذلك استطاع شعب الولايات المتحدة أن يضمن استقلاله وحرياته ، بل أن يقف فوق ذلك حارساً على حريات الشعوب الأمريكية وضامناً لاستقلالها جميعاً . وحدث ذلك فى وقت كان فيه الشعب الروسى يرسف فى أغلال عبوديته وجهله وفقره . وليس بغريب أن يصل شعب الولايات المتحدة إلى هذه الدرجة من النضج السياسى ، وإلى هذه المكانة بين الدول ، إذا عرفنا أنه وريث الفضائل والصفات التى ميزت المهاجرين الأوّل من أحرار الانجليز والهولنديين والفرنسيين الذين أبت عليهم نقوسهم الأبيية أن يقيموا على الضيم والاضطهاد الدينى فى أوروبا فهاجروا أول ما هاجروا من انجلترا فى سنة ١٦٢٠ تحملهم

سفينة « ميقلور » إلى الساحل الشرقى من الولايات المتحدة حيث أقاموا حكوماتهم على أساس من الحرية والمساواة والعمل لصالح المجموع، حتى إذا رأوا من جانب حكومة الأمم في إنجلترا عنقاً وتشبهاً بحقوق لا تستند إلا على القوة لم يترددوا في إعلان الثورة عليها وحمل السلاح ضدها، وسرعان ما قامت حرب الاستقلال الأمريكية التي انتهت سنة ١٧٨٣؛ واتهزت دول أوروبا المنافسة لإنجلترا هذه الفرصة فأعلنت حيدتها المسلحة ضد إنجلترا، حتى لا تستغل إنجلترا تفوقها البحرى في مناوأة تجارتهم مع أمريكا. وكانت روسيا إلى جانب الحيدة المسلحة ضد إنجلترا، ولكنها كانت في الوقت نفسه تمتعت الثوار ومبدأ الثورة، فلم تشأ أن يكون بينها وبين الولايات الثائرة بعد استقلالها صلات أو روابط من أى نوع كانت، واستمرت كذلك حتى أوائل القرن التاسع عشر حين استقبل إسكندر الثانى أول ممثل للولايات المتحدة فى سنة ١٨٠٩ وعقدت أول معاهدة تجارية بين البلدين فى سنة ١٨٣٢.

ولما قامت الحرب الأهلية بين ولايات الجنوب وولايات الشمال، وكان أهل الجنوب يريدون أن ينفصلوا عن الولايات الشمالية، حتى لا يتعرض اقتصادهم الزراعى والاجتماعى القائم على استخدام الرقيق لأى خطر من ناحية الرئيس لنكولن وولايات الشمال الصناعية، كانت إنجلترا وفرنسا تناصران حركة الجنوب الانفصالية، حتى لا تقوى الولايات المتحدة وتصبح يوماً دولة كبيرة منافسة. ومن عجب أن تكون روسيا حينذاك إلى جانب الولايات المتحدة مع أنها لم تكن تربطها بالولايات المتحدة أية رابطة من الجنس أو الدين أو الثقافة، بل كانت روسيا تعتبر إذ ذلك مباءة الحكم الرجعى الاوتقراطى، كما كانت الولايات المتحدة الشمالية تمثل أكثر المبادئ حرية وتسامحاً وإنسانية.

وقد أبدى إسكندر الثانى قيصر روسيا من الاهتمام بقضية الولايات المتحدة ما جعله يسارع بإرسال جزء من أسطوله يرسو فى ميناء نيويورك وسان فرانسيسكو، وأعلن فى صراحة أن بقاء الولايات المتحدة دولة مستقلة متمسكة أمرٌ لا بد منه لصيانة السلم بين الدول. وكان هذا الموقف من أهم الأسباب التى دعت إنجلترا وفرنسا إلى العدول عن موقفها العدائى نحو الولايات الشمالية.

ولما سئل القيصر إسكندر عن سبب وقوفه هذا الموقف من النزاع

الأمريكي أجاب بأنه إنما فعل ذلك خدمة لصالح روسيا لا حباً في الولايات المتحدة .

فقد كان التنافس بين روسيا وبريطانيا شديداً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكانت روسيا حديثة عهد بخروجها منهزمة أمام إنجلترا وجليفاتها في حرب القرم ، فأرادت روسيا أن تثار لنفسها ، فتعمل على تقوية الولايات المتحدة لعلها أن تنمو يوماً فتتفوق على بريطانيا ، وعلى ذلك يفسح المجال أمام روسيا في آسيا وفي البحر المتوسط . وتحقيقاً لهذا الغرض لم تجد روسيا مانعاً من التزول للولايات المتحدة عن أرض شبه جزيرة ألسكا شمالى كندا في سنة ١٨٦٧ مقابل مبلغ ضئيل دفعته أمريكا ، حتى لا تسيطر على مضيق بيرنج دولة أجنبية .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى كان وجود روسيا إلى جانب إنجلترا وحلفائها من الأسباب التي جعلت حكومة الولايات المتحدة تردد طويلاً قبل تصديق ما أعلنه الحلفاء من أغراضهم في دخول الحرب ؛ إذ لم يكن معقولاً حينذاك أن تشترك حكومة روسيا القيصرية في نصرة المبادئ الديمقراطية واحترام حريات الشعوب وحكومتها إذ ذاك في أسفل درك من الفساد والظفیان . وفعلاً لم تشترك الولايات المتحدة في الحرب إلا بعد أن اشتعلت نار الثورة البلشفية الكبرى في روسيا ، وأعلن الثوار على الملأ أنهم إنما يريدون السلام ولا مطمع لهم في أرض أو مال للغير ، وعلى ذلك سرعان ما عقدت مع ألمانيا معاهدة برست ليتوفسك في مارس سنة ١٩١٨ أي قبل انهزام ألمانيا النهائي بشهور قليلة .

ومنذ ذلك اليوم انطوت روسيا على نفسها ، وأخذ الثوار يكافون في سبيل توطيد دعائم الثورة ودرء خطر القوات الرجعية التي كان الحلفاء يؤازرونها ويمدونها بالمال والرجال ، حتى ملئت روسيا على دول الغرب سخطاً وغلاً وحفيظة ؛ ولم تجد أمامها إذ ذاك إلا دول الشرق الناشئة كتركيا وإيران وأفغانستان فأوثقت معها روابط الصداقة وعدم الاعتداء ، وأقامت بينها وبين دول الغرب أو أقاموا بينهم وبينها ستاراً كثيفاً جعلها بمعزل عن العالم الغربي .

وكانت الولايات المتحدة أشد هذه الشعوب مقتناً لحكومة الثوار في روسيا ، وأكثرها رغبة في تجنب الاتصال بها . فبينما عملت إنجلترا وفرنسا على

إنشاء علاقات تجارية بينها وبين روسيا أسوة بما سبقت إليه ألمانيا في سنة ١٩٢٢ عقتصى معاهدة رابالو، فإن الولايات المتحدة ظلت جامدة في موقفها إزاء روسيا، كارهة أن يكون بينها وبين البلاشفة أية صلة مهما كان بعدها عن السياسة. وقد استاء شعب الولايات المتحدة من الثوار في روسيا حين تنكروا للدين المسيحي، وأنكروا الديون التي كانت لأمريكا على الحكومة القيصرية، وحين أقاموا نظام الثورة على أساس من الغدر والتقتيل والتشريد إلى درجة أفرغت الشعوب الغربية، ولأنهم لم يقتصروا على تنفيذ مبادئ ثورتهم في بلادهم بل عملوا سرًا وعلانية على نشر هذه المبادئ ومحاولة تنفيذها في البلاد الأجنبية الأخرى، يردون أن تم الثورة الشيوعية العالم كله ويكون لموسكو الأمر كله على الناس جميعا.

ولما أصبح الأمر في روسيا بيد ستالين بعد موت لينين في سنة ١٩٢٤ دخلت روسيا في طور جديد من حياتها السياسية؛ إذ لم يكن ستالين من قادة الفكر النظريين الذين درسوا في جامعات أوروبا واطلعوا على آراء الغرب وكتبهم، بل كان رجلا حرييا عمليا يعتبر حقائق الواقع، فلم يشأ أن يضحى بمصلحة روسيا في سبيل تحقيق ما قصد إليه ماركس ولينين وتروتسكي من تعميم الثورة الشيوعية في العالم بطريق العنف والقوة، وصمم ستالين على تركيز جهود الثورة في روسيا أولاً بإنهاضها صناعياً وثقافياً، وتطهيرها تدريجاً من عناصر الشيوعية العالمية. ومن حسن طالع ستالين أن أوروبا كانت تجنى في هذه الفترة أحسن ثمار عصبة الأمم؛ إذ دخلت ألمانيا العصبة في سنة ١٩٢٦ وسادت بلاد العالم موجة من حب السلام جعلت روسيا تشارك من صميم قلبها في اللجنة التحضيرية لمؤتمر تخفيف التسلح الذي انعقد في جنيف ١٩٣٢ مع أنها لم تكن عضواً في العصبة إذ ذاك، وقد كان صوت مندوبها لتثنيوف أقوى صوت ارتفع في المؤتمر منادياً بوحدة السلام في العالم، وبتخفيف التسلح بل ونزعه تماماً في مدى سنوات قليلة.

ولما لم يقد مؤتمر نزع السلاح شيئاً وباتت عصبة الأمم بالخيبة، تنهت روسيا إلى موقفها إزاء الدول، وأدركت أنها إنما تقف وحدها في عزلة حربية وسياسية عن دول العالم، وأيقنت أن مسابقة التسلح بين الدول ستعود حتماً إلى أشد مما كانت عليه في الماضي، وأن مصير الثورة في روسيا قد أصبح معرضاً للضياع إذا لم تهض بسد حاجاتها الحربية والصناعية بنفسها. وعلى ذلك بدأ ستالين سنة

١٩٢٩ مشروع السنوات الخمس الشهير مرة بعد مرة ، حتى شهد العالم وهو مشدود مبهوت إحدى معجزات القرن العشرين الاقتصادية ؛ إذ تحولت روسيا إلى بلاد صناعية تنتج كل ما تحتاج إليه حربيا واقتصاديا ، وذلك إلى جانب نهضة زراعية اجتماعية وحركة عمرانية ثقافية أصبحت مضرب المثل في مداها وكفائتها ، وأصبح ستالين صاحب هذه النهضة الكبرى ومبدعها معبود القوم وملأذم الأعداء في السلم وفي الحرب .

وفي هذه الأثناء كان قد ولي رئاسة الولايات المتحدة رئيس حصيف واسع الأفق شديد الإيمان بالمبادئ الديمقراطية والأهداف الإنسانية العامة ، فهاله أن تكون بين أمريكا وروسيا تلك الهوة السحيقة من الجفاء وعدم الثقة مما أضع على الولايات المتحدة الاتصال بأعظم دول أوربا قوة وسكانا وأسحهم مستقبلا ، فقرر أن الوقت قد حان لاتصال الشعبين تحقيقاً لمصلحتهما السياسية والاقتصادية . وكانت الحركة النازية قد اشتدت في ألمانيا ، وأصبح هتلر يهدد روسيا من جهة ودول الغرب من جهة أخرى ، كما أصبحت اليابان بعد احتلالها منشوريا تهدد مصالح الولايات المتحدة كما تهدد مصالح روسيا في الشرق الأقصى . وكانت كل من روسيا والولايات المتحدة في عزلة سياسية خارجة عن مدار عصبة الأمم ؛ وعلى ذلك سرعان ما تقاربت مصالح البلدين ، فاستقبل الرئيس روزفلت سفير روسيا لتقنيوف في سنة ١٩٣٣ ، وأرسلت الولايات المتحدة سفيرها مستر ديفيس سنة ١٩٣٧ وإليه يرجع الفضل في تفوير أذهان الشعب الأمريكي بشأن النهضة البلشفية . وكانت روسيا قد اشتركت في عصبة الأمم سنة ١٩٣٤ وارتبطت بأواصر المودة مع الدول الديمقراطية عندما قامت أزمة الحبشة ورفع هتلر القناع عن مظامعه . واستمرت العلاقات ودية بين البلدين حتى أتم هتلر لعبته السياسية الكبرى سنة ١٩٣٩ إذ مازال بستاين حتى جعله يفقد مع ألمانيا معاهدة عدم الاعتداء ويهمل مساعي إنجلترا وفرنسا في هذا السبيل . فعاد الشعب الأمريكي يسخط على زعماء روسيا ويتهمهم بكل تقيصة . وزاد من سخطهم هجوم روسيا على دول البلطيق وغزوها دولة فنلندا الصغيرة ، وتأكد لأمريكا أن حصول هتلر على ما يحتاج إليه من زيت البترول من روسيا سيساعد ألمانيا على المضى في عدوانها ضد الدول الديمقراطية ؛ وعلى ذلك توترت العلاقات بين البلدين ، وظلت كذلك حتى كشف هتلر عن نيائه ضد روسيا ، حينئذ استفاق

الروس إلى منظر عجب حقاً ؛ فقد كانوا موقنين أن الدول الديمقراطية سيرضيها حتماً أن ينقلب الوحش الألماني على روسيا فيفتريها ويزيح عن العالم كابوس البلشفية ، وإذا بهذه الدول تمد يدها إلى روسيا لتتعاون معها على درء الخطر الألماني الذي بدأه هتلر سنة ١٩٤١ ، وسارع تشرشل وروزفلت إلى إرسال مندوبيهما إلى روسيا للاتفاق معها على خطة العمل ولم تمض إلا شهور قليلة بعد هجوم هتلر على روسيا حتى سطت اليابان على ميناء بيرل ، ودخلت الولايات المتحدة الحرب بعد مضي ستة أشهر على الهجوم الروسي . وقد أفاضت روسيا من قانون الإعارة والتأجير الذي أصدرته الولايات المتحدة أيما فائدة ، فكانت ترد إليها المؤن والطائرات والمدافع والدبابات سالكة أحياناً طريق إيران وخليج العجم ، وأحياناً عابرة المحيط المتجمد الشمالي . وسرعان ما ظهرت معجزة روسيا الحربية ؛ فبينما كان النقاد وثقات الحربيين يتوقعون هزيمة روسيا في مدى لا يزيد على ستة أشهر ، إذا بروسيا تقف وقفها الشهيرة عند أبواب موسكو في ستالينجراد أمام أكبر وأضخم قوة حربية تحركت على سطح الأرض منذ الخليقة ، فتصدها صدىً باسلاً عنيفاً . ثم ما لبث الدافع أن تحول إلى هجوم كاسح انتهى إلى النصر بفضل الصلابة التي اكتسبها الجند من الرجل «الصلب» الذي يقودهم ، وبفضل المعونة التي تلقتها روسيا من الحلفاء وخاصة أمريكا ، وأخيراً بفضل الإنتاج الحربي المتزايد المتصل الذي كان ينبعث من المصانع الروسية المستورة في بطون الكهوف والوهاد وراء جبال الأورال التي اعتمص بها الروس عندما وغل الأعداء في داخل بلادهم .

ولما لاحت بشائر النصر عقب ارتداد الألمان عن ستالينجراد في الشمال وتراجعهم في شمال إفريقيا بعد موقعة العلمين ، بدأ الحلفاء يفكرون في تبادل الآراء بشأن مشا كل السلم وتنسيق الخطط الحربية الختامية في مؤتمرات دورية عقدوها أولاً في موسكو في أكتوبر سنة ١٩٤٣ ثم في القاهرة حيث اتفقوا على صورة قهر اليابان وحرمانها في النهاية من كل الأراضي التي ضمتها إليها منذ الحرب العالمية الأولى ، وفي مقدمتها منشوريا وجزر المحيط الهادى . ولما اجتمع مؤتمر الحلفاء في طهران في نوفمبر سنة ١٩٤٣ عقب مؤتمر القاهرة سنحت الفرصة لأول مرة لتقابل العاهلين العظميين روزفلت وستالين . وفي هذا المؤتمر

أكد الحلفاء تصميمهم على العمل في الحرب وفي السلم الذي يعقب النصر . وقد تأيد هذا التصميم في مؤتمر القرم الذي انعقد في فبراير سنة ١٩٤٥ بحضور العاهلين وتشرشل ووزراء الخارجية ، وفيه قرروا إنشاء هيئة الأمم المتحدة لحفظ السلام وتأمين العالم ضد الحرب .

وأخيراً انتهت الحرب وخرجت منها روسيا وهي عالمة تمام العلم أن النصر قد رفعها فوق دول أوروبا جميعاً ، وأن من حقها أن تتقاضى ثمن النصر كما تقاضته منذ أكثر من قرن عقب انكسار نابليون بونابرت سنة ١٨١٤ ، وقد كانت لروسيا يومئذ الزعامة بين الحلفاء الذين قاوموا نابليون وهزموه . ومع أن الحلفاء كانوا قد أعلنوا في أكثر من مناسبة أنهم لا يرومون من الحرب الأخيرة أن يكسبوا لأنفسهم فوائد إقليمية ، فإن روسيا لم تتردد في ضم جمهوريات البلطيق السابقة إليها (عدا فنلنده) رافضة حتى أن تتفاوض بشأنها ، كما ضمت جزءاً من بولنده الشرقية ، وتمسكت ببساريا وبكوفينا من رومانيا وسوغت عملها في نظر الناس بأن كثرة السكان تنسب إلى روسيا ، وأيدت ذلك باستفتاء شعبي قام به رجالها . وزيادة على ذلك أرادت روسيا أن تكون لها الزعامة في شرق أوروبا ، وهياً لها احتلالها المنطقة الشرقية من ألمانيا أن تزعم أن من حقها أن يكون طريقها في البلقان ودول الدانوب مأمون الجانب موصول الأطراف بالاتحاد السوفيتي . وكما عملت الولايات المتحدة قبل الحرب على توطيد مركزها بين جمهوريات أمريكا بإنشاء اتحاد الجامعة الأمريكية ، كذلك تريد روسيا اليوم أن تكون لها الزعامة بين شعوب البلقان السلافية ، وأن تجعل من هذه الأقاليم منطقة نفوذ خاصة بها . وكان من الحتم أن تخرج هذه السياسة إلى الاحتكاك بتركيا واليونان ، وإلى معارضة الدول الديمقراطية الكبرى ولها في مضائق الدردنيل وفي اليونان وجزر بحر إيجه مصالح استراتيجية واقتصادية لا يستهان بها .

أما بينها وبين الولايات المتحدة ذاتها فليست هناك مطامع إقليمية تدعو إلى النزاع ، فروسيا دولة برية ، وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا دولة بحرية جوية لاناقة لهما في أوروبا ولا جمل ، ولكنها سياسة تأمين الحدود التي نادى بها روسيا وحملتها على أن تمد أخطبوطها غرباً وجنوباً وشرقاً ، حتى باتت تهدد الكتلة الاتلنطيقية من جهة والولايات المتحدة والصين من جهة أخرى . ومن سوء حظ روسيا أنها آمنت بمبدأ التكتل في الوقت الذي تهيأ فيه العالم

لقبول فكرة الاتحاد العالمي أو الاتحاد الأوربي على الأقل . فبينما أمريكا وبريطانيا تبدلان غاية الجهد في إقامة هيئة الأمم المتحدة وتوطيد أركانها ، نرى روسيا تعمل جاهدة على تكتيل أوروبا بل والعالم كله إلى كتلتين شرقية وغربية .

وعلى هذا الأساس تركزت الآراء والمناقشات في اللجان والمؤتمرات الدولية مما جعل الأهداف التي ترمى إليها هيئة الأمم المتحدة تتضاءل وتتخاذل أمام الحدة الناشئة من هذا الانقسام أو التكتل ؛ حتى قالوا إن روسيا قد تورطت تورطاً في الموافقة على إنشاء هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ؛ إذ لا يعقل أن تعمل روسيا البلشفية على إعادة بناء العالم وإقرار السلام بين الشعوب وهي التي ينادى رسلها وأبواقها بضرورة الثورة العالمية حتى يزول النظام الرأسمالي عن وجه البسيطة . ويظهر أن زوال ألمانيا من الوجود الدولي قد طمأن روسيا لأول مرة في تاريخها الحديث من جهة حدودها الشرقية إذ لم يبق ظل من الشك في أن قواتها البرية في أوروبا تفوق قوات الدول الديمقراطية جميعها . وعلى ذلك لم تعد لها فائدة حربية ترجى من وراء أمريكا ، كما أصبحت أمريكا بعد زوال اليابان من الوجود الدولي في الشرق الأقصى تخشى تفوق روسيا في منطقة المحيط الهادى الشمالية ، وقد كانت الولايات المتحدة قبل هذه الحرب في حاجة قصوى إلى صداقة روسيا لتحدها من خطر اليابان .

من هذا نستطيع أن ندرك طائفة من الأسباب التي جعلت الجفاء محل بين روسيا وحلفائها القدامى محل الوثام الذى ساد بينهم في أثناء الحرب . وكان هذا الجفاء أول بادرة من بوادر الإخفاق للسلم الجديدة وأخوف ما خافه الناس أن يكون إخفاق السلام مقدمة الاستعداد للحرب الثالثة .

محمد رفعت